مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ١١: ٢٤–٢٦، ٣٢–٣٩)

يا إخوةُ بالإيمان موسى لمَّا كَبُرَ أبى أن يُدعى ابنًا لابنةِ فِرعون* مُختارًا الشَّقاء معَ شعبِ اللهِ على التمتُّعِ الوقتيّ بالخطيئة* ومُعتَبرًا عارَ المسيح غنًى أعظمَ من كُنوز مِصر. لأنَّهُ نَظَرَ إلى الثواب* وماذا أقولُ أيضًا. إنَّهُ يَضيقُ بي الوقتُ إن أخبرتُ عن جدعون وباراقَ وشمشون ويفتاحَ وداودَ وصموئيلَ والأنبياءِ* الذينَ بالإيمانِ قَهَروا الممالكَ وعملُوا البرَّ ونالوا المواعدَ وسَدُّوا أفواهَ الأسود* وأَطفأُوا حِدَّةَ النارِ ونَجَوْا من حَدِّ السيفِ وتقَوَّوْا مِن ضُعفٍ وصاروا أشِدَّاءَ في الحربِ وكَسَروا معسكَراتِ الأجانب* وأخذت نِساءٌ أمواتَهنَّ بالقيامةِ وعُذِّبَ آخرونَ بتوتيرِ الأعضاءِ والضربِ ولم يقبلوا بالنجاةِ ليَحصلوا على قيامةٍ أفضل* وآخرون ذاقوا الهُزءَ والجَلْدَ والقيودَ أيضًا والسِّجنَ* ورُجِموا ونُشِروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيف. وساحوا في

المزمور ١٣٧

كثيراً ما يتردَّد في خِدَمْ الصوم الليتورجية موضوع نفي الإنسان من الأحضان الأبوية وابتعاده عن الله وتغرُّبه عن الواقع الروحي الحقيقي الذي كان ينتمي إليه والذي يجب العودة إليه. لقد خرجنا من المنزل الأبوي، من منزلنا الأصلي، وتغرّبنا في أرض غريبة وصرنا عبيداً للغرباء، عبيداً لشهواتنا وخطايانا، عبيداً للشر وللشيطان، وما زمن الصوم المقدَّس إلاَّ فترة نعود فيها من أرض غربتنا إلى منزل الله لكي نحيا من جديد: «لما نَهَمنا تكبَّدنا التعرية الأولى، وحين غُلبنا من المذاقة المرَّة صرنا من الله منفيين، لكن هلّم لنعود نحو التوبة وننقي الحواس المُحارَبَة ممتلكين الصيام مدخلاً، مشدّدين القلوب بأمل النعمة لا بالأطعمة التي ما أفادت من تصرَّف بها. وليؤكل منا حملُ الله الذي قُدِّم لأجلنا ذبيحةً في ليلة قيامته الطاهرة المنيرة، المشارك تلاميذه في عشيَّة السر، والحالّ ظلمة الجهل بضياء قيامته» (غروب عشيَّة أحد مرفع اللحم).

هذا الموضوع هو جوهر تعليم الكتاب المقدَّس، تعاليم ربنا يسوع المسيح وأنبيائه ورسله وشهدائه وقديسيه. خِدَم الصوم تستعمل كل ما ورد في الكتاب لتدعو المؤمنين إلى العودة إلى الأحضان الأبويَّة. في هذا السياق يأتي ترتيل المزمور ١٣٧ في سَحَر الأسابيع المهيئة للصوم الكبير وفترة الصوم: «على أنهار بابل هناك جلسنا. بكينا أيضاً عندما تذكَّرنا صهيون... كيف نرنّم ترنيمة الرب في أرض غريبة. إن نَسِيتُك يا أورشليمُ تنسى يميني. ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك، إن لم أفضّل أورشليم على أعظم فرحي... يا بنت بابل المُخْرَبة طوبى لمن يجازيك جزاءك التي جازيتنا. طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة» (مز ١٣٧: ١–٩).

العدد ٩/٢٠٠٤
الأحد ٢٩ شباط
الأحد الأول من الصوم
أحد الأرثوذكسية
تذكار أبينا البار كاسيانوس الروماني
اللحن الرابع
إنجيل السَحَرْ الرابع

هذا المزمور يصف حزن العبرانيين عندما كانوا في السبي (٥٨٦ ق.م.)، في أرض غريبة بعيدين عن أورشليم، عن بيت الله المقدّس، وفيه دعاء على بابل والبابليين الذين سبوا العبرانيين.

لقد رأت الكنيسة في هذا المزمور صورة لحالتنا الروحية. روحياً نحن الخطأة نجلس على ضفاف أنهار بابل، أرض الخطأة. قد تبدو هذه الأرض أرض خير لوجود الأنهار فيها. إنها أرض مغرية كما تُغرينا الخطيئة. من

جلودِ غنمٍ ومَعزٍ وهم مُعوزون مُضايَقون مَجهودون* (ولم يكنِ العالمُ مستَحقًا لهم). وكانوا تائهين في البراري والجبال والمغاور وكُهوف الأرض. فهؤلاء كلُّهم مشهودًا لهم بالإيمانِ لم ينالوا الموعِد* لأنَّ اللهَ سبقَ فنظرَ لنا شيئًا أفضلَ أن لا يكمُلوا بدوننا.

الإنجيل

(يو ١: ٤٤–٥١)

في ذلك الزمان أراد يسوع الخروج إلى الجليل فوجد فيلِبُّسَ فقال لهُ اتبعني* وكان فيلِبُّس من بيتَ صيدا من مدينة إندراوس وبطرس* فوجد فيلِبُّسُ نَثَنَائيلَ فقال لهُ إنَّ الذي كَتَبَ عنه موسى في الناموس والأنبياءِ قد وجدناهُ وهو يسوعُ ابنُ يوسف الذي من الناصرة* فقال لهُ نَثَنَائيلُ أمِنَ الناصرةِ يمكنُ أن يكونَ شيءٌ صالح* فقال لهُ فيلِبُّسُ تعالَ وانظرْ* فرأى يسوعُ نَثَنَائيلَ مقبلاً إليهِ فقال عنهُ هوذا إسرائيليٌّ حقًّا لا غِشَّ فيهِ* فقال لهُ نَثَنَائيلُ مِنْ أينَ تعرفني. أجاب يسوعُ وقال لهُ قبل أن يدعُوَك فيلِبُّسُ وأنت تحتَ التينةِ رأيتُك* أجابَ نَثَنَائيلُ وقال لهُ يا معلّمُ أنت ابنُ اللهِ أنتَ ملكُ إسرائيل*أجابَ يسوعُ وقال لهُ لأنّي قلتُ لك إنّي رأيتُكَ

الخارج قد تبدو جميلة ولامعة لكنها من الداخل مملوءة شراً. أرض بابل هي أرض الخطيئة، الأرض الغريبة التي سبينا أنفسنا إليها لما انغمسنا في الشر. لقد ابتعدنا عن الرب وها وقت الصوم وقتٌ مناسب لكي نبكي على خطايانا ونسعى للعودة إلى أورشليم. أورشليم هي منزلنا الحقيقي، ولكنها مدينة لا نجدها على الخريطة ولا طريق تؤدي إليها إلا طريق الله. « وأمَّا أورشليمُ العليا التي هي أمُّنا جميعاً فهي حرَّة» (غلا ٤:٢٦)، «وأنا يوحنا رأيتُ المدينةَ المقدَّسةَ أورشليمَ الجديدةَ نازلةً من السماءِ من عندِ اللهِ مهيأةً كعروسٍ مُزيَّنةٍ لرَجلِها. وسمعتُ صوتاً عظيماً من السماءِ قائلاً هوذا مسكِنُ اللهِ مع الناس وهو سيسكنُ معهم وهم يكونونَ له شعباً واللهُ نفسهُ يكون معهم إلهاً لهم. وسيمسحُ اللهُ كلَّ دمعةٍ من عيونِهم والموتُ لا يكونُ في ما بعدُ ولا يكونُ حُزنٌ ولا صُراخٌ ولا وجعٌ فيما بعد لأنَّ الأمورَ الأولى قد مضت» (رؤ ٢١:٢–٤).

هذه هي المدينة التي يجب أن نتوق إليها، حيث الله هو السيد. لكننا لسبب أو لآخر نتناساها ونفضِّل العيش في بابل ونفرح بشهواتنا التي تشعل الحرب على روحنا لتدمرها. لذا يدعونا كاتب المزامير أن لا ننسى أورشليم ونضمها في قلبنا وأن لا نفضّل فرح بابل على فرح أورشليم: «ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكُرك، إن لم **أُفضِّل** أورشليمَ على أعظم فرحي» (مز ١٣٧:٦).

نسيان الله هو سبب كل الخطايا. نسيان أورشليم هو سبب كل الأوجاع والمآسي. الاستقرار والارتياح في هذا العالم الساقط، الذي كان خليقة الله الحسنة، أي في بابل التي صنعها الشرير، هو موت الروح والنفس. «لا تُحبُّوا العالمَ ولا الأشياءَ التي في العالم... لأنَّ كلَّ ما في العالمِ شهوةَ الجسدِ وشهوةَ العيونِ وتَعظُّمَ المعيشةِ ليسَ من الآبِ بل من العالمِ. والعالمُ يمضي وشهوتُه وأمَّا الذي يصنعُ مشيئةَ اللهِ فيثبتُ إلى الأبدِ» (١يو٢ : ١٥–١٧).

أشياء هذا العالم تزحف نحونا لتدمرنا، ونحن بالكاد نلاحظ الأمر. لقد أعمتنا الخطيئة. وما أطفال بابل الواردة في المزمور ١٣٧ إلاَّ أشياء هذا العالم الصغيرة، التي هي التجارب والخطايا التي تبدو من الخارج بريئة وغير مؤذية كما الأطفال، ولكنها من الداخل تدمِّر الإنسان الذي يقبلها. لذا يدعونا كاتب المزمور لأن نمسك أطفال بابل، أشياء هذا العالم، ونضربها على الصخرة، يسوع المسيح، لكي نعود إلى المدينة العلوية. يجب أن نضربها ونميتها في مهدها قبل أن تنمو وتكبر وتقضي علينا. والصوم هو زمن القضاء على أشياء هذا العالم، فلندخله متدرعين بنعمة الله ولابسين خوذة الإيمان فيسقط كل شر أمامنا.

وحدة الزواج في المسيحية (تابع)

٣ – استعمال صيغة المفرد عند الحديث عن الزوجة:

لا يوجد في العهد الجديد كله نص واحد يتحدث عن «نساء» أو «زوجات» للرجل الواحد، وإنما يستعمل الكتاب صيغة المفرد باستمرار في الحديث عن هذا الأمر. يشبّه الرسول بولس علاقة الرجل بزوجته بعلاقة المسيح بكنيسته الواحدة، ونراه يستعمل هذا الإفراد في أكثر من مناسبة، فيقول مثلاً: «مَنْ يُحِبُّ امرأتَهُ يُحِبُّ نَفْسَهُ. وأمَّا أنتُمُ الأفرادُ، فَلْيُحِبَّ كُلُّ واحِدٍ امرأتَهُ هكذا كنَفْسِهِ» (أفسس ٥: ٢٨ و ٣٣). فكيف يمكن لإنسان أن يحب امرأة

تحت التينة آمنتَ. إنَّك ستُعاين أعظمَ من هذا* وقال لهُ الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم إنَّكم مِنَ الآن ترونَ السماءَ مفتوحةً، وملائكةُ الله يصعدون وينزِلون على ابن البشر.

تأمل

محبّة الله نارٌ لا تموت، تزدري بالأرضيّات، كما يعلّمنا الشهداء القدّيسون الذين ذاقوها وارتووا منها. محبّة الله رباطٌ ناعم وسيفٌ ذو حدّين لا يمكن أن ينفكّ. لقد قطع الطغاةُ أعضاء القدّيسين لكنهم لم يستطيعوا أن يفصلوهم عن محبّة المسيح. يا له من رباطٍ ناعم (رباط محبّة الله)، لا السيف قطعه ولا النار أطفأتها... من لا يعجب من ذلك، من لا يتشوّق إلى مثل هذه المحبّة؟ لقد منح الله المحبّة هذه إلى كنيسته حتى تتزيّن دائماً بها. هي عربونُ الله في النفس، عمودُها وأساسُها. هي (محبّة الله) التي جلبت إلى الأرض ابنَ الله الوحيد. بها فُتح الفردوس، بها قُيّد القويُّ، بها أصبحت النفسُ عروساً للختن غير المائت لكي ينظرَ كما في مرآةٍ جماله وحسنه. لقد تألّم الختنُ الطاهر من أجل تلك المحبّة. لذلك كلّ الذين يؤمنون به بالحق ويريدون أن يصبحوا ورثاءه، عليهم

كنفسه ويتزوج في نفس الوقت امرأة أخرى أو أكثر؟

وفي نفس المجال أيضاً يقول الرسول بولس: «مِنْ أجل هذا يترُكُ الرَّجُلُ أباهُ وأُمَّهُ ويلتَصِقُ بامرأتِهِ، ويكونُ الاثنانِ جسداً واحداً» (الآية ٣١). وهذه الآية استخدمها السيد المسيح نفسه في مجال مشابه عند الحديث عن الطلاق بقوله: «مَنْ طَلَّقَ امرأتَهُ وتزوَّجَ بأخرى يزني عليها» (مر ١٠: ١١). وفي مستهل رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، نسمعه في حثه على البتولية يقول: «وأمَّا مِنْ جِهَةِ الأمورِ التي كَتَبْتُمْ لي عنها فَحَسَن للرَّجُلِ أنْ لا يَمَسَّ امرأة. ولكِنْ لِسَبَبِ الزِّنا لِيَكُنْ لِكُلِّ واحدٍ امرأتُهُ، ولِتَكُنْ لِكُلِّ واحدةٍ رجُلُها» (٧: ١،٢). كلمة «امرأته» هنا تعني زوجة واحدة ليس له سواها، لأن الرسول بصدد حديث عن البتولية. فإن كان جيداً للرجل ألاّ يمس امرأة فكيف تكون له نساء كثيرات؟ كما أن هناك قرينة أخرى، وهي عبارة «ولكن لسبب الزنا» ولم يقل لسبب إنجاب البنين.

نقرأ في العهد الجديد أيضاً أن السيد المسيح قال لتلاميذه: «وكُلُّ مَنْ تَرَكَ بيوتاً أو إخوةً أو أخواتٍ أو أباً أو أمًّا أو امرأةً أو أولاداً أو حقولاً مِنْ أجلِ اسمي يأخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ ويَرِثُ الحياةَ الأبديَّةَ» (متى ١٩: ٢٩). وهذه الآية واضحة جداً: فالذي يحتمل فيها الكثرة ذكره السيد المسيح بصيغة الجمع، والذي لا يحتمل إلاّ الإفراد والوحدانية ذكره بصيغة المفرد. فالبيوت والحقول والأخوة والأولاد تحتمل الجمع، وقد ذكرها بصيغة الجمع، على الرغم من أن الشخص قد لا يكون له سوى بيت واحد أو حقل واحد أو أخ واحد ولكن هذه الأمور تحتمل الكثرة بالنسبة إلى الآخرين فذُكرت بالجمع. أما الذي لا يمكن أن يحتمل الكثرة ولا يمكن الحديث عنه بالجمع، بالنسبة للشخص الواحد، فهو الأب والأم والزوجة. فكما أنه لا يمكن أن يكون للإنسان سوى أب واحد وأم واحدة، كذلك لا يمكن أن تكون له سوى زوجة واحدة في المسيحية. لذلك تحدث السيد المسيح عن الثلاثة بالمفرد: الأب والأم والزوجة.

ومن القرائن الأخرى التي لا يمكن تجاهلها أن هذا النص الذي لم يذكر فيه السيد المسيح غير الأب والأم والزوجة بصيغة المفرد، قاله في نفس الأصحاح الذي ذُكرت فيه مناقشته مع الكتبة والفريسيين عن الطلاق (متى١٩:١٢).والتعبير نفسه ذكره السيد في مناسبة أخرى غير هذه، قال فيها: «إنْ كانَ أحدٌ يأتي إليَّ ولا يُبغِضُ أباهُ وأمَّهُ وامرأتَهُ وأولادَهُ وإخوتَهُ وأخواتِهِ، حتى نفسَهُ أيضاً، فلا يقدِرُ أن يكونَ لي تِلميذاً» (لو١٤:٢٦). يقصد ألا يفضل الإنسان علاقته بأقاربه على علاقته بالله، وإذا اصطدمت العلاقتان وتعارضتا، يترك أقاربه ويتحمل المتاعب من أجل المسيح (الآية ٢٧). هنا أيضاً لم يذكر بالمفرد غير الأب والأم والزوجة والنفس، بعكس الاخوة والأخوات والأولاد.

٤ – مبدأ السلطان المتبادل في الزواج:

في مبدأ «الجسد الواحد» الذي بشّرت به المسيحية رفعت كثيراً من مكانة المرأة وقدرها. فبعد أن كانت المرأة في العصور الأولى تُشترى في الزواج بالمهر، كأنها شيء من ممتلكات الرجل، جاءت المسيحية لتقول: «ليسَ للمرأةِ تسَلُّطٌ على جسدِها بَلْ للرَّجُلِ. وكذلِكَ الرَّجُلُ أيضاً ليسَ لهُ تسَلُّطٌ على جسدِهِ بَلْ للمرأةِ» (١كو٧: ٤).

النصف الأول من هذا النص كان معروفاً في القديم، عندما كان تعدد

أن يـذوقـوا الـعـذابـات والشدائد على مثاله. كما أن المخلّص مات على الصليب وغلب مُميتاً الخطيئة بإنكاره للجسد ومحطّماً قوى العدوّ ومسمِّراً سلطته على الصليب أمام مشهد الكل، هكذا ونحن أيضاً علينا أن نحتمل كلَّ ثورة وشدّة من قِبَل الشرير بشجاعة وحتى الموت لكي ننتصر عليه بالإيمان، بالصبر والرجاء بالرب.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الزوجات ممارساً. أما النصف الثاني فهو شيء جديد «على فهم الناس» يؤسس لفكرة الزوجة الواحدة. ولأن الرجل ليس له سلطة على جسده وإنما امرأته هي صاحبة السلطان على جسده، لا يستطيع أن يهب جسده لزوجة ثانية أو ثالثة تشارك الزوجة الأولى حقها المقدس.

هل تستطيع المرأة أن تعطي جسدها لزوج ثانٍ في حياة الزوج الأول؟ بالطبع لا، لأنه ليس لها سلطان على جسدها بل لرجلها. هكذا الرجل أيضاً لا يستطيع في حياة زوجته أن يعطي جسده لزوجة ثانية، لأنه ليس له سلطان على جسده بل لامرأته. هذا هو مبدأ «السلطان المتبادل».

حتى في النسك والتعفف، لا يستطيع الرجل أن يترك الحياة الزوجية بدون موافقة زوجته التي لها السلطة على جسده. فبعد النص السابق يقول الرسول مباشرة: «لا يَسْلُبُ أَحَدُكُم الآخَرَ، إلاَّ أن يكون على موافقةٍ إلى حين، لكي تتفرَّغوا للصَّوْمِ والصَّلاَةِ ثُمَّ تجتمعوا أيضاً معاً» (١ كو٧:٥).

لذلك فإن قوانين الكنيسة لا تسمح لرجل متزوج أن يسلك في سيرة الرهبنة إلا بعد موافقة زوجته. فإن لم توافق لا يستطيع ذلك. والقانون الخامس من قوانين الرسل يقطع من الكهنوت كل من يُخرج امرأته لعلة الزهد. وهذا لا يصح على الرجل فقط بل على المرأة أيضاً. إن القانون ١٣ من قوانين مجمع غنغرا المقدّس واضحٌ: «أيما امرأة تترك زوجها وتقصد الانفراد بمعزل عنه، مشمئزة من الزيجة، فلتكن ملعونة».

فإن كان للمرأة تسلّط على جسد الرجل – حتى في العبادة – فبديهي أن الرجل لا يستطيع أن يعطي جسده لغيرها لأنه لا يملك هذا الحق.

إن ديناً يجعل جسد الرجل حقاً لامرأته لا يستطيع سلبها إياه ولو للتعبد، إلا بموافقتها، هو دين لا يمكن أن يبيح حرية الرجل في الاقتران بأكثر من امرأة واحدة في وقت واحد.

يتبع

محاضرات

بمناسبة الصوم المبارك تدعو رعية كنيسة القديس نيقولاوس – الأشرفية لحضور سلسلة المحاضرات التالية التي ستقام عند الساعة ٦:٤٥ من مساء كل خميس من أسابيع الصوم المبارك، بعد صلاة النوم الكبرى.

+ الخميس ٢٦ شباط ٢٠٠٤

«محبة الله وحرية الإنسان» لقدس الارشمندريت بندلايمون (فرح)

+ الخميس ٤ آذار ٢٠٠٤

«ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية» لقدس الارشمندريت توما (بيطار)

+ الخميس ١١ آذار ٢٠٠٤

«الصوم مسيرة نور» لسيادة الأسقف يوحنا (يازجي)

+ الخميس ١٨ آذار ٢٠٠٤

«المسيحي وتحديات العصر» لقدس الارشمندريت افرام (كرياكوس)

+ الخميس ٢٥ آذار ٢٠٠٤

«والدة الإله وسر تدبير الخلاص للبشرية» للأم مريم (زكا)

+ الخميس ١ نيسان ٢٠٠٤

«معمودية الأطفال ودور العرّابين» لسيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb